مختصـر ابن كثير

بسم ا الرحمن الرحيم .

- 1 - يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي ا ورسوله واتقوا ا إن ا سميع عليم - 2 - يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون .

- 3 - إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول ا أولئك الذين امتحن ا قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم .

هذه آيات أدب ا تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول صلى ا عليه وسلّم من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام فقال تبارك وتعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي ا ورسوله } أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعا له في جميع الأمور . قال ابن عباس : نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه (وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن المراد من الآية الكريمة { لا تقدموا بين يدي ا ورسوله } لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة والقول الآخر هو رواية العوفي عنه وهو الأقوى والأرجح) وقال مجاهد : لا تفتاتوا على رسول ا صلى ا عليه وسلّم بشيء حتى يقضي ا تعالى على لسانه وقال الضحاك : لا تقضوا أمرا دون ا ورسوله من شرائع دينكم وقال الحسن البصري : لا تدعوا قبل الإمام وقال قتادة : ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون : لو أنزل في كذا وكذا لو صح كذا فكره ا تعالى ذلك { واتقوا ا } فيما أمركم به { إن ا سميع } أي لأقوالكم { عليم } بنياتكم وقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي } هذا أدب ثان أدب ا تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلى ا عليه وسلّم فوق صوته وقد روي أنها نزلت في الشيخين (أبي بكر) و (عمر) Bهما روى البخاري عن ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا (أبو بكر) و (عمر) Bهما رفعا أصواتهما عند النبي صلى ا عليه وسلّم حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس Bه أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع : لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر Bهما : ما أردت إلا خلافي قال : ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل ا تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون } قال ابن الزبير : " فما كان عمر Bه يسمع رسول ا صلى ا عليه وسلّم بعد هذه الآية حتى يستفهمه " (أخرجه البخاري في صحيحه) . وفي رواية أخرى له قال : قدم ركب من بني تميم على النبي صلى ا عليه وسلّم فقال أبو بكر Bه : أمر (القعقاع

بن معبد) وقال عمر Bه : بل أمر (الأقرع بن حابس) فقال أبو بكر Bه : ما أردت إلا خلافي فقال عمر Bه : ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما : فنزلت في ذلك : { يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي ا ورسوله } حتى انقضت الآية { ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم } الآية أخرجه البخاري .

وروى الحافظ البزار عن أبي بكر الصديق Bه قال : " لما نزلت هذه الآية : { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي } قلت : يا رسول ا وا لا أكلمك إلا كأخي السرار " . وروى البخاري عن أنس بن مالك Bه : أن النبي صلى ا عليه وسلّم افتقد (ثابت بن قيس) Bه فقال رجل : يا رسول ا أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده في بيته منكسا رأسه فقال له : ما شأنك ؟ فقال : شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى ا عليه وسلّم فقد حبط عمله فهو من أهل النار فأتى الرجل النبي صلى ا عليه وسلّم فأخبره أنه قال : كذا وكذا قال موسى : فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال : " اذهب إليه فقل له : إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة " (أخرجه البخاري في صحيحه) .

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك Bه قال : لما نزلت هذه الآية : { يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي - إلى قوله - وأنتم لا تشعرون } وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال : أنا الذي كنت أرفع صوتي على صوت رسول ا صلى ا عليه وسلّم أنا من أهل النار حبط عملي وجلس في أهله حزينا ففقده رسول ا صلى ا عليه وسلّم فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له : تفقدك رسول ا صلى ا عليه وسلّم مالك ؟ قال : أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي صلى ا عليه وسلّم وأجهر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار فأتوا النبي صلى ا عليه وسلّم فأخبروه بما قال فقال النبي A : " لا بل هو من أهل الجنة " . قال أنس Bه : فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفنه فقال : بئسما تعودون أقرانكم فقاتلهم حتى قتل Bه (أخرجه الإمام أحمد) . وفي رواية : فقال له النبي A : " أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة ؟ " فقال : رضيت ببشرى ا تعالى ورسوله A ولا أرفع صوتي أبدا على صوت رسول ا A قال : وأنزل ا تعالى : { إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول ا أولئك الذين امتحن ا قلوبهم للتقوى } (ذكر هذه الرواية ابن جرير C تعالى) الآية .

وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين كذلك فقد نهى ا D عن رفع الأصوات بحضرة رسول ا A وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب Bه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي A قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال : أتدريان أين أنتما ؟ ثم قال : من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف فقال : لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا . وقال العلماء :

يكره رفع الصوت عند قبره A كما كان يكره في حياته E لأنه محترم حيا وفي قبره A دائما ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ولهذا قال تبارك وتعالى : { ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض } كما قال تعالى : { لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا } وقوله D : { أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون } أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب ا تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح : " إن الرجل ليتكلم الكلمة من رضوان ا تعالى لا يلقي لها بالا يكتب له بها بالجنة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط ا تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض " (رواه مسلم وأخرجه أحمد والترمذي والنسائي بنحوه) ثم ندب ا تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك ورشد إليه ورغب فيه فقال : { إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول ا أولئك الذين امتحن ا قلوبهم للتقوى } أي أخلصها لها وجعلها أهلا ومحلا { لهم مغفرة وأجر عظيم } . وعن مجاهد قال : كتب إلى عمر يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر Bه : إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها { أولئك الذين امتحن ا قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم } (أخرجه أحمد في كتاب الزهد)